Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 2, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (14) العدد (2) 2024

مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الرابع عشر، العدد الثاني 2024

ISSN:2707-5672

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 2, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (14) العدد (2) 2024

الآخر العاذل على فعل المخاطرة سراج شدود جاسم محمد

أ .د. عباس جخيور سرحان

أشواق ستار محمد

كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق

ملخص البحث

إنَّ مشكلة الموت من ابرز المشاكل التي أرقت الإنسان ، ؛ لكونه يمثل تهديد لوجوده ، إذ اختلفت مواقف الشعراء من هذه القيمة إبتداءاً من العصر الجاهلي وصولاً إلى العصر العباسي في البحث الذي تضمن أولاً مقدمة عامة وعرض ثم اختتم بخاتمة تضمنت اهم النتائج تلتها قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الآخر ، العاذل ، المخاطرة ، الفروسية

معلومات البحث

تـــــاريخ القبول:2024/5/13

الاتصال: **أشواق ستار محمد**، Ashwaq.S.Mohammed@utq.edu.iq

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 2, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (14) العدد (2) 2024

The other is helpless in the act of taking risks Siraj Shdood Jasim

Abaas jakhyur sarhan
ashwaq star muhamad

College of Education for Human Sciences, Thi-Qar University, Iraq

Abstract
The problem of death is one of the most prominent problems that trouble people. Because it represents a threat to its existence, as the positions of poets differed regarding this value, starting from the pre-Islamic era until the Abbasid era, in the research, which first included a general introduction and presentation, then concluded with a conclusion that included the most important results, followed by a list of sources and references.

Keywords: The other, the miserable, risk-taking, horsemanship.

Article information
Accepted: 13/5/2024
Corresponding author: ashwaq star muhamad, Ashwaq.S.Mohammed@utq.edu.iq

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في توظيف الآخر العاذل كأداة فنية تجسد ذات الشاعر من اجل نقل صوته إلى الخارج وعن طريقها يتم رصد اهم التحولات الحاصلة في كل عصر ويميط اللثام عن طبيعة كل عصر فتعارض القيم قد شمل موضوع الفروسية , فربما يلجأ الشاعر إلى الفروسية كقيمة يحقق من خلالها ذاته يتخذها شاعر آخر ربما في العصر نفسه أو عصر آخر من اجل تحقيق مآرب أخرى , إذ كانت وسيلة لإثبات الذات في العصر الجاهلي , أما العصر الإسلامي فكان للقيم التي جاء بها الإسلام دور في تغيير الموقف من الموت حيث اصبح باباً من أبواب الحصول على رضا الله تعالى، أما العصر العباسي فاختلف الموقف منها ، إذ اصبح فعل الفروسية وسيلة للافتخار .

- **المصطلحات** :
- **مفهوم الآخر** :

عند البحث في المعجمات اللغوية نجد أنَّ كلمة الآخر تأتي بمعنى (غير)، فعند الفراهيدي أخَرَ , تقول : هذا آخر , وهذه أخرى والآخر والآخرة نقيض المتقدم والمتقدمة ومقدم الشيء ومؤخره[1]، أمَّا عند ابن منظور فالآخر أحد الشيئين وهو اسم على افعل والأنثى أخرى , والآخر بمعنى الغير كقولك : رجل آخر , وثوب آخر , ومعنى آخر الشيء غير الأول[2]، وجاء في الصحاح : ((الآخر بالفتح أحد الشيئين , وهو اسن على أفعل والأنثى أخرى ... وأخر : جمع أخرى , وأخرى تأنيث آخر وهو غير مصروف . قال تعالى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾))[3].

وفي المعجم الوسيط [4]الآخر أحد الشيئين ويكونا واحد كقول المتنبي:

وَدَع كُلَّ صَوتٍ غَيرَ صَوتي فَإِنَّني أَنا الصائِحُ المَحكِيُّ وَالآخَرُ الصَدى[5]

وبمعنى غير , قال امرؤ القيس :

إِذا قُلتُ هَذا صاحِبٌ قَد رَضيتُهُ وَقَرَّت بِهِ العَينانِ بُدِّلتُ آخَرا[6]

وخلاصة القول إنَّ تعريف كلمة (الآخر) في معاجم وقواميس اللغة العربية بمعنى (غير) بإجماع كل العلماء.

مفهوم الآخر اصطلاحاً :

في المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية يعني : ((اسم خاص للمغاير , يقال للأشخاص والأعداد , ويطلق على المغاير في الماهية ويقابله الأنا))[7] ، ومعنى الآخر الغير : معنى المصطلح هو أننا إذا وضعنا شخصا ما أو مجموعة أو مؤسسة في موقع الآخر أو الغير فأننا نضعه أو نضعها خارج سياق انتمائنا , وهو مصطلح شائع في النقد الفرويدي[8]، وهو بهذه لا يختلف عن المعنى اللغوي لكلمة الآخر فكلاهما بمعنى (غير).

.

المقدمة :

إنَّ المخاطرة تتمثل في الأخطار التي يتعرض لها الإنسان في حياته , وهي استجابة لمتطلبات الإنسان سواء على المستوى الاجتماعي العام , أم المستوى الفردي , فهو في سعي دائم من أجل التغلب على المخاطر التي يؤدي التصدي لها إلى خطر التعرض للموت , الذي يعدُّ القلق الصادر عنه أشد قلق يعانيه الإنسان ؛ لأنَّه إنهاء لإمكان الوجود في العالم[9]، ومشكلة الوجود والعدم من الأشياء التي أرّقت الإنسان إبتداءاً من العصر الجاهلي , لذا تنوعت ردّات الفعل فبعضهم سجل حضوراً تمثل في أنماط سلوكية يقوم بها تجاه مجتمعه في محاولة لإقامة جسر من التواصل الغاية منه تبديد شعور الاغتراب الروحي , عن طريق أفعال تستند إلى قيم أخلاقية واجتماعية تتصف بمثاليتها لخلق نوع من التكيف مع الواقع وتساعد على اطلاق الذات في مدارات الحياة ومد فضاءاتها في صورة مثالية واقعية لتحقيق توازن نفسي وشعوري وتجسيد شخصية اكثر صلابة وقدرة في إثبات وجودها وفاعليتها في التعامل مع المجتمع[10], والشجاعة والمخاطرة هي استجابة لمتطلبات الإنسان الاجتماعية العامة أو الفردية الخاصة فالإنسان يسعى جاهدا في الحياة من اجل التغلب على المخاطر التي تؤدي به إلى عالم آخر وهو الموت[11]؛ لذا كان فعل الفروسية والتعرض للمخاطرة من السلوكيات القيمية التي اتخذت كوسيلة لمواجهة الموت , إذ كانت الشجاعة من الصفات التي امتدحها العرب وكان القتل أثناء المعركة مدعاة فخر لديهم , في حين كانوا يذمون الموت في الفراش وكان ذلك مدعاة هجائهم فيقولون مات فلان حتف انفه وإلى جانب ذلك استنكروا على انفسهم حياة الذل والهوان ولم يقبلوها حتى ولوكان مصيرهم الموت, ففكرة الموت فكرة غير سلبية في الفكر العربي فهي تؤسس القيم وتوجه الأفعال والسلوك , إذ خلقت سلوكاً أخلاقياً عملياً لدى العرب[12].

ومن هنا نجد أنَّ الشعراء سلكوا صيغ مختلفة وانتهج كل منهم منهجاً بما يتوافق مع طبيعة تجربته التي تخضع لنوازع نفسية وحياتية فعنترة بن شداد يواجه الواقع من خلال قيم الفروسية ويقدم فلسلفة خاصة نابعة من تجربة حياتية مريرة .

العاذلة الأم :

لقد مثلت الأم آخر في هذا المحور يلوم ويعذل الشعراء كما في قول عنترة بن شداد[13] :

تُعَنِّفُني زبَيبةُ في المَلامِ عَلى الإقدامِ في يَومِ الزَحامِ
تَخافُ عَلَيَّ أَن أَلقى حِمامي بِطَعنِ الرُمحِ أَو ضَربِ الحُسامِ
مَقالٌ لَيسَ يَقبَلُهُ كِرامٌ وَلا يَرضى بِهِ غَيرُ اللِئامِ
يَخوضُ الشَيخُ في بَحرِ المَنايا وَيَرجِعُ سالِماً وَالبَحرُ طامي
وَيَأتي المَوتُ طِفلاً في مُهودٍ وَيَلقى حَتفَهُ قَبلَ الفِطامِ
فَلا تَرضَ بِمَنقَصَةٍ وَذُلٍّ وَتَقنَع بِالقَليلِ مِنَ الحُطامِ
فَعَيشُكَ تَحتَ ظِلِّ العِزِّ يَوماً وَلا تَحتَ المَذَلَّةِ أَلفَ عامِ

تمثل الآخر العاذل بصورة الأم التي وصل عذلها إلى حد التعنيف ,وذلك لخوفها وإشفاقها عليه من الموت, وسلوك الآخر هو ما وضع الذات في دائرة الرد وذلك ما أجل الدفاع عن موقفها , بصورة أظهرت الجانب الأخلاقي للذات الشاعرة , (مقال ليس يقبله كرام) كما عززت الذات من دفاعها عبر توظيفها لعقيدة الموت , من خلال الصورة الاستعارية مرة حيث جعل للمنية بحر و الشيخ الكبير في السن مثل الذي يخوض البحر في سفينه , ومرة أخرى من خلال توظيف الجمل الفعلية (يخوض الشيخ , يأتي الموت) حيث حمل دلالة الاستمرار والتجدد فالإنسان دائم التحرك في فلك الموت , ولا فرق في ذلك بين الشيخ الكبير أو الطفل الرضيع , فادراك الذات لهذه الحقيقة هو ما يدفعها إلى عدم الاستسلام والإصرار على ممارسة الحياة وذلك للإفلات من ربقة الشعور بالضعف بأن تغدوا محلقةً في فضاء الحرية من خلال تشكيلها لفعل القوة [14] الذي يساوي الوجود , ((فالقوة المؤثرة هي التي تقود إلى سلام مكين قوي , والمغالبة من أجل نشر السلام هي التي تعطي للذات في الوجود قيمة الحياة لدى حضورها وقيمة الموت حين قدومه))[15]، فما دامت الحياة التي تحياها الذات قادرة على تحقيق الكرامة والعزة فهي مطلوبة , وإن لم تكن كذلك فالموت هو الخيار الأفضل، إذ لا يستطيع احد الفرار منه ؛ لذا نجد أنَّ لبيد في معرض رفضه لحديث عاذلته يذكرها بجبروت الموت وسطوته .

الآخر البنت :

تَقولُ اِبنَتي إِنَّ اِنطِلاقَكَ واجِداً إِلى الرَوعِ يَوماً تارِكي لا أَبالِيا
دَعينا مِنَ الإِشفاقِ أَو قَدِّمي لَنا مِنَ الحَدَثانِ وَالمَنِيَّةِ راقِيا
سَتَتلَفُ نَفسي أَو سَأَجمَعُ هَجمَةً تَرى ساقِيَيها يَألَمانِ التَراقِيا[16]

فالذات الشاعرة بدأت حديثها (تقول ابنتي) وهذه الصيغة أفادت في تحديد مسار الخطاب , كما أنَّ عاطفة الأبوة طبعت الحوار بسمة الهدوء لذا جاء العذل بطريقة غير مباشرة[17]والعاطفة كانت العنصر الفاعل والموجه داخل النص , فهي التي ولدت مشاعر الخوف لدى الآخر/ البنت , والجأته إلى تقديم الحجج , (إنَّ انطلاقك واحداً ...) ومحاولة استغلال عاطفة الأبوة (تاركي لا أباليا) التي هي في حقيقتها , رمز للرؤية المضمرة لكي يحدث التعارض بين الظاهر(إنَّ انطلاقك واحداً) والباطن (هي رفضها لفعل المخاطرة)[18], إلا أنَّ العاطفة المتبادلة وتوحد الفكر والرؤيا (دعينا) التي أوحت بثبات العاطفة بين الطرفين جعل الذات لا ترفض فعل العذل بل صرفت وجه الآخر إلى التخيير بين ترك الإشفاق الذي كان باعثه عاطفة الحب[19] (دعينا من الإشفاق) أو (قدمي لنا من المنية راقياً) وهو شيء لا يمكن تحقيقه , ولعل رؤيته بأنَّ الفناء سبيل الخلود قاد إلى هذا التقديم وجعله يغض البصر عن النهوض بأعباء أسرته ويترك أبناءه يتامى لا عائل لهم كابحا جماح عاطفته المتقدة على نفسه[20] .

العاذلة الحبيبة :

وقد تابعت الحبيبة الأم والزوجة والبنت ومثلت آخرا عاذلا كما في قول عنترة[21]:

بَكَرَت تُخَوِّفني الحُتوفَ كَأَنَّني أَصبَحتُ عَن غَرَضِ الحُتوفِ بِمَعزِلِ
فَأَجَبتُها إِنَّ المَنِيَّةَ مَنهَلٌ لا بُدَّ أَن أُسقى بِكَأسِ المَنهَلِ

فَاِقِني حَياءَكِ لا أَبا لَكِ وَاِعلَمي أَنّي اِمـرُؤٌ سَأَموتُ إِن لَم أُقتَلِ
إِنَّ المَنِيَّـةَ لَو تُمَثَّلُ مُثِّلَت مِثلي إِذا نَزَلوا بِضَـنكِ المَنزِلِ
وَالخَيلُ ساهِمَةُ الوُجوهِ كَأَنَّما تُسـقى فَوارِسُها نَقيعَ الحَنظَلِ
إِذا حُمِلتُ عَلى الكَريهَةِ لَم أَقُل بَعدَ الكَريـــهَةِ لَيتَني لَم أَفعَلِ

صدر الشاعر عذل عاذلته بجملة بكرت تخوفني التي ساعدت أولاً في تحدد وقت العذل وهو الصباح الباكر وثانياً أظهرت قرب مكانة العاذلة فإنه لن تقف امرأة مع الشاعر في مثل هذا الوقت سوى امرأة مقربه منه[22], وهذا القرب هو الذي يفسر مشاعر الخوف الكبيرة (كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل) التي سيطرت على الآخر فكانت دافعا لفعله المتمثل بالتخويف , وأسلوب الحوار بدأ هادئاً , وهو ما نستشفه من جواب الذات (إنَّ المنية منهل ...) , لأنَّه سرعان ما تصاعدت لهجة الحوار , من خلال توظيف جملة فعل الأمر (فأقني حياءك) و(عندما يستعمل الأسلوب الآمر في المقامات الخطابية فهو ينجز فعل أمر أو فعل نهي في عملية التلفظ نفسها)[23]، وانفصال الرؤى بين رؤية العاذلة التي يحركها الخوف ورؤية الذات التي تسعى إلى إثبات موقفها هو ما أوصل الذات إلى تبني لغة الاستعلاء والتوبيخ تجاه الآخر؛ ولأن الذات تدرك أنَّ تأكيد حريتها ووجودها عن طريق الفعل لذا لجأت إلى الافتخار لتضع الآخر أمام ذات قوية ؛ لذا تظهر نفسها بمظهر القوة فالموت لو كان له وصف لمثل بصورته اذا دخل معه الأعداء في شدة المعركة أذاقهم مر الهزيمة , التي استشعرتها الخيل ؛ لذا يتغير لونها هي الأخرى وكأنها سقيت بماء نبات الحنظل المعروف بشدة مرارته , ويبدي عدم ندمه على أي معركة اكره عليها فالفروسية كانت وسيلة الذات لأثبات هويتها .

فطالما كان الموت هو النهاية الحتمية فلا شيء يستحق التمجيد أكثر من الذات , لذا لا بد لها أن تنال حضها من الحضور بشكل يجعلها أكثر وجودا[24] من أجل التعويض عما سوف يأتي من لحظات عدمية .

وقد يتمثل الآخر بصورة الحيوان الذي أخذ شخصية العاتب المظلوم الذي وقع عليه الحيف , كما نسمعه عند المثقب العبدي[25] :

(البحر الوافر)

إِذا ما قُمتُ أَرحَلُها بِلَيلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَجُلِ الحَزينِ
تَقولُ إِذا دَرَأتُ لَها وَضيني أَهَذا دِينُهُ أَبَـداً وَديني
أَكُلُّ الدَهرِ حَلٌّ وَاِرتِحالٌ أَما يُبقي عَلَيَّ وَما يَقيني

ففي هذه الحوارية تمثل الآخر بصورة الناقة , التي نقل على لسانها بأسلوب حواري استفهامي ما جال في فكرها , إذ ابتدأ بـ(إذا الشرطية) وهي _كما يقول النحاة– تستعمل في المقطوع بحصوله أو الكثير حصوله , فكثرة التنقل والترحل سبب في حزنها الذي جعلها تتأوه كما يتأوه الرجل الحزين الذي يصيبه ما يكره , فهو يضفي عليها الصفات الإنسانية ليجسد معاناتها وما جال في فكرها , من خلال تكراره لأسلوب الاستفهام التقريري , الذي لا يتطلب الحصول على إجابة بقدر ما أراد تقرير حالة شعورية ,تنوعت ما بين التعب والإنكار والاسى , فعملية إعدادها للرحيل المتكرر جعلها تتوجه بالسؤال إلى الذات فيما إذا سوف يبقى هذا الرحيل عادة متكررة لكلاهما طوال الدهر , أما يريد أن يحافظ عليَّ أما يريد أن يقيني من

المصاعب , وما هذه التساؤلات التي طرحت على لسان الحيوان في حقيقتها إلا انعكاسا لما يدور في داخل نفسه من مخاوف , أو ما يسمى بعلم النفس بالإسقاط وهو حيلة لا شعورية تتلخص في ميل الأشخاص في أن ينسب مخاوفه التي لا يعترف بها إلى غيره من الأشخاص أو الأشياء بسبب الشعور بالخجل أو الخوف أو غيرها , وتعرف أيضاً بخافضات القلق وهي لا تهدف إلى حل المعاناة بقدر ما تزود الذات بقدر من الراحة المؤقتة حتى لا يختل توازنها[26] .

أمَّا من ناحية المستوى الصوتي فنجد سيطرة الهمزة وهو صوت مجهور شديد[27] يحمل معاني القوة والشدة , الذي يوحي لشدة تحمل الآخر لمآسي حياة الرحيل .

أمَّا كعب بن سعد الغنوي فيرى أنَّ زوجته قد جانبت الصواب بلومه , ثم أخذ يذكر لنا خوفها المصحوب بالشفقة عليه وكيف أنَّه يرمي بنفسه إلى المنية , ومن ثمَّ يوضح فلسفته المتعلقة بالموت بأن قعوده لا يجنبه الموت[28] :

لَقَدْ أنصبتِني أمُّ قيسٍ تَلُومُنـِي ... ومَا لَوْمُ مِثْلي باطِلاً بِجَميلِ
تقولُ أَلا يا اسْتَبْقِ نفسَكَ لا تكُنْ ... تُساقُ لِغَبْراءِ المَقامِ دَحُولِ
كَمُلقَى عِظامٍ أو كمهلَكِ سالِمٍ ... ولسْت لِميتٍ هالِكٍ بوَصيلِ
أراكَ امرءً تَرمي بنفسِكَ عامِداً ... مُرَامي تَغتالُ الرِجالَ بِغُولِ
وَمَنْ لا يَزَلْ يُرجى بِغيبٍ إيابُـهُ ... يَجُوبُ ويغشَى هَوْلَ كُلِّ سبيلِ
عَلَى فَلَتٍ يُوشِكْ رَدىً أنْ يُصِيبَهُ ... إلى غَيرِ أدْنَى موضِعٍ لمَقِيلِ
ألمْ تعلَمي الآ يُراخي مَنيَّـتي ... قُعُودي ولا يُدنى الوفاةَ رَحيلي
معَ القدرِ الموقُوفِ حتَّى يُصيبَنـي ... حِمامِي لوْ أنَّ النفسَ غَيرُ عَجُولِ

فزوجة الشاعر أم قيس مثلت آخر يلومه وكان للفعل (أنصبتني) دلالات منها أنَّه شكل البؤرة التي انطلق منها الحوار كما اظهر علاقة الانفصال في الرؤى بين الذات والآخر الذي فالخوف هو الذي أوصل الآخر إلى مناصبة الذات نتيجة فعل الآخر.

العصر الإسلامي :

لا يختلف العذل في هذا العصر عمّا سبقه في العصر الجاهلي؛ وذلك لأنَّه لم يكن ليستقل كلياً في أفكاره وأهدافه ومعاييره عما سبقه , سوى بعض الدوافع الدينية التي امتزجت في نفسه ، إذ إنَّ الموت اصبح بالنسبة للشاعر الإسلامي باب من أبواب الدخول إلى النعيم , فبداية الدعوة الإسلامية لم يكن الشعراء قد تشربوا مبادئه كونهم مازالوا تحت تأثير روح ما قبل الإسلام وإن كانت هنالك نقلة وتقدم فأنَّها لا تكون بمستوى التطور الذي نجد صداه في أشعار العصر الأموي[29].

العاذلة الزوجة :

أما النابغة فيتخذ من معاني القرآن الكريم وسيلة يستشهد بها لدعم موقفه أمام عاذلته , إذ يقول :

باتَت تُذَكِّرِنُي بِاللهِ قاعِـدَةً ... وَالدَمعُ يَنهَلُّ مِن شَأنَيهِما سَبـلا
يا بنَةَ عَمِّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَنـي ... عَنكُم وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَـلا
فَإِن رَجَعتُ فَرَبُّ الناسِ يُرجِعُني ... وَإِن لَحِقتُ بِرَبّي فَابتَغي بَـدَلا

ما كُنتُ أَعرَجَ أَو أَعمَى فَيَعذِرَني أَو ضارِعاً مِن ضنًى لَم يَستَطِع حِوَلا

جاء العذل بطريقة غير مباشرة ، إذ لم يذكر فعل اللوم , بل أشار إليه بطريقة غير مباشرة (باتت تذكرني) وساعدت هذه الصيغة في تحديد الوقت كما رسم لوحة بصرية لحالة هذه العاذلة من خلال ما وظفه من ألفاظ (قاعدة , الدمع , ينهل) وهذه الأوصاف لم تقتصر على ذكر الأوصاف الخارجية بل ساعدت على كشف الجانب النفسي للآخر , ووظفت الذات في سبيل إقناع الآخر أسلوبين الأول هو النداء (يا ابنة عمي) وهو الذي فتح باب النقاش قائلاً لها كتاب الله أخرجني كرهاً , إذ أفادت من القرآن الكريم واستحضرت آياته – تناص قرآني – باقتباس الألفاظ والمعاني موظفتاً إياها توظيفاً دقيقاً الغاية منه إحداث الأثر عند الآخر ، وكما أفاد من قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:216]، وكذلك : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح:47]، أمَّا الأسلوب الآخر فهو الاستفهام إذ ساعد على تركيز الفكرة المتمثلة في التسليم لأوامر الله تعالى , أمَّا الشرط فقد ساعد الذات على التخلص من حالة التوتر الداخلية والتسليم المطلق لله تعالى[30] (فإن رجعت فرب الناس أرجعني) وكذلك إلقاء الحجة على الآخر وسلبه كل عذر ممكن .

فالقيم التي جاء بها الإسلام طبعت الحياة بطابع ورؤية مختلفة عمَّا هو عليه في العصر الجاهلي فالمخاطرة جاءت امتثالاً لأوامر الله تعالى ونشر للإسلام , وليس تعبيراً عن موقف بطولي تجاه القبيلة أو تحقيق للذات كما نجد في قول جروة الطائي[31] :

تلوم حليلتي بالغزو جـهلاً وغير الغزو أولى بالملام
ولولا الغزو كنت كمن يغادي بأنواع الشبارق والمدام
قليل الهم يزهد في المعالي ويرضى بالقليل من الطعام

تمثل الآخر بزوجة الشاعر التي تلومه على فعل الغزو , إلا أنَّ الذات ترى أنَّ هنالك أفعالاً أحق باللوم عليها , فلولا الغزو كانت حياه عابثة لاهية ، ويعدُّ الغزو قيمة عليا يزهد عنها الإنسان الضعيف الخالي من الهموم .

وقوله أيضاً[32] :

وقالت قد كبرت، وقلت حقًّا كبرت، فكفكفي ودعي عتابي
عتابك كلَّ يوم لي عـذاب ومثلي لا يقـرُّ على العذاب
فإن لم تصبري وكرهت قربي فدونك ما أَردت من اجتنـابي
سأَغزو التَّرك في نفرٍ كرام سراع حين ندعى للضِّراب
يرون الموت أَفضل من حياة تُصيِّرها الدُّهـور إِلى تباب

فالآخر/ زوجته لم تعذله ؛ بسبب خوفها عليه من الموت بل كان لومها , بسبب كبر سنه وأنَّ هذه الأفعال لم تعدّ تناسب المرحلة العمرية التي وصل إليها ، أمَّا الذات وبسبب مشاعر الضعف التي تشعر بها جراء تقادمها في السن ؛ هو ما دفعها أن تفعل العكس وتفخر بأفعالها البطولية في محاولة إثبات نفسه أمام الآخر .

ومالك بن الريب من الشعراء الذي وظَّف المعاني المستوحاة من كتاب الله تعالى من أجل تدعيم موقفه وبيان ثباته كقوله[33] :

(البحر الخفيف)

وَلَقَد قُلتُ لابنَتي وَهيَ تَكوي بِدَخيلِ الهُمـومِ قَلباً كَئيبا
وَهيَ تَذري مِنَ الدُموعِ عَلى الخَدْ دَينِ مِن لَوعَةِ الفِراقِ غُروبا
عَبراتٍ يَكدنَ يَجرَحنَ ما جُز نَ بِهِ أَو يَدَعنَ فيهِ نُدوبا
حَذَرَ الحَتفِ أَن يصيبَ أَبـاها وَيُلاقي في غَيرِ أَهلٍ شَعوبا
أُسكُتي قَد حَزَزتِ بِالدَمعِ قَلبي طالَمـا حَزَّ دَمعُكُنَّ القُلوبا
فَعَسى اللَهُ أَن يُدافِـعَ عَنّي رَيبَ ما تَحذرينَ حَتّى أَؤوبا
لَيسَ شَيءٌ يَشاؤُهُ ذو المَعالي بِعَزيزٍ عَلَيهِ فَادعي المُجيبا
وَدَعي أَن تُقَطّعي الآنَ قَلبي أَو تريني في رِحلَتي تَعذيبا
أَنا في قَبضَةِ الإِلَـهِ إِذا كُنـ ـتُ بَعيداً أَو كُنتُ مِنكِ قَريبا
كَم رَأَينا اِمرأً أَتى مِن بَعيدٍ وَمُقيماً على الفِراشِ أُصيبا
وَدَعيني مِن اِنتِـحابِكِ إِنّي لا أُبالي إِذا اِعتَزَمتُ النَحيبا
حَسبِيَ اللَهُ ثُمَّ قَرَّبتُ لِلسَيـ ـرِ عَلاةً أَنجِب بِها مَركوبا

والحوار هنا طويل ممتد بن الأب وابنته ابتدأ بالجملة الخبرية بصيغة القول : (لقد قلت) وهذه الصيغة كشفت عن الأسباب التي دعت إلى إقامة هذا الحوار, ألا وهو اعتزام الشاعر الخروج إلى الجهاد , واختار من الألفاظ التي لها قدرة الإفصاح عن الحالة الشعورية للآخر/البنت (قلباً كئيباً , تذري الدموع , لوعة الفراق)، إذ ساعدت في إظهار مشاعر الخوف :

أسكتي فقد حززت بالدمع قلبي طالما حزَّ دمعكن القلوبا

فيلتمس منها السكوت وأن تخفض صوتها المصاحب للدمع المتدفق , فتوظيف أفعال الأمر (اسكتي) و(دعي أن تقطعي قلبي) (فدعيني من انتحابك)، فإنَّ تكرار هذه الصيغ جاء مناسباً للحالة الشعورية التي تعيشها الذات (فالاسى الذي يغمر قلب الشاعر ... لا بد أن يخرج من مجال القول إلى مجال الفعل) فلا يبقى الاسى بداخله[34], فبكاء ابنته يحز في قلبه , إلا أنَّه يطلب منها أن تتوقف لأنَّه راحل لا محاله , ومن أجل أن تأكيد موقفه يوظف الآيات القرآنية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:38]، أما في البيت التالي (ليس شيء يشاؤه ذو المعالي ...) فهي تمثيل لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان:30]، وهو بهذه الردود كأنَّما يدفعها إلى الدعاء له لكي يعود إليها , ثم يعود ليذكرها , إنَّ المنية تدرك الإنسان أينما حلَّ , فقد وظَّف (كم) الاستفهامية التي خرجت إلى معنى قصد بها الزيادة فكثيره هي النفوس التي لا سبيل إلى إحصائها التي ادركها الموت وهي آمنه في بيوتها , وجميع هذه الردود كشفت عن مدى تأثر الذات بالمفاهيم الإسلامية من

خلال حرصها على تضمين ردودها بأفكار مستوحاة من القرآن الكريم , فالمواقف التي تعبر عن رؤيا خاصة تستلزم جملاً رزينة يظهر فيها الاحتكام إلى العقل[35], فالذات فضلاً عن تمسكها بموقفها نجد أنَّها بذلت جهداً كبيراً في سبيل إقناع الآخر , والنص قد كشف عن حالة شعورية ممتلئة بالحزن والألم .

مثلت الزوجة أخراً عاذلا في تجربة لبيد , لذا نجده في معرض رفضه لحديثها يذكرها بجبروت الموت وسطوته كما في قوله[36]:

(البحر الكامل)

سفهاً عذلت وقلت غير مليم وبكاك قدماً غير جِدِّ حكيم

أم الوليد ومن تكوني همه يصبح وليس لشأنه بحليم

آني السداد فإن كرهت جنابنا فنقلي في عامر وتميم

لا تأمريني أن الام فإنني آبى وأكره أمر كل مليم

أو لم ترى إنَّ الحوادث أهلكت إرماً ورامت حميراً بعظيم

لو كان حيّ في الحياة مخلداً في الدهر الفاه أبو يكسوم

فالذات تسفه فعل الآخر \ العاذلة أن تامره بفعل ما يلام عليه فهو يمتنع عن ذاك ويكره امر كل من يأتي بلائمة, إذ أأقامت الذات فكرتها معتمدة على عدة أساليب منها إيرادها لأسلوب النفي (لا تأمريني) وهو((أسلوب نقض وإنكار يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب , لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك))[37] كما ذكر اسم لائمته أم الوليد ((أنَّ اسماً واحداً من الأسماء المتداولة يعين وبشكل دائم فردا واحدا معارضا لكل الأخرين في الصنف ذاته))[38]، ويطلب منها إذا كرهت المكوث عنده بسبب تنقله أن تتركه وتنتقل إلى مكان آخر , والذات توظف الحكمة في تدعيم موقفها فهي تذكر الآخر بصفه من صفات هذه الحياة ألا وهي الفناء , موظفتاً أسلوب الشرط لتأكيد فكرة أنَّ الإنسان مهما علا شأنه فمصيره الهلاك والموت هو المصير المحتوم , ومما يلاحظ أنَّ الردود قد اكتنفتها النزعة الدينية فالإسلام احدث تأثيراً كبيراً من ناحية الأسلوب والأفكار ففكرة الاستسلام للموت في العصر الجاهلي تأتي من محاولة صنع انموذج بطولي يخلد ذكره ففي غياب الدين في العصر الجاهلي نجد أنَّ ((حضور القيم عنده غائية الوجود واستمرار للحياة وهو بديلا قيمياً عن الدين))[39].

وكما كان اللوم على المخاطرة وسيلة لإظهار مشاعر النفور والازدراء كقول عبد الصمد بن المعذل[40] :

(البحر الوافر)

رأتنا أمُّ عمـرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زريُّ
إذا لم تقدحـي زنديك يومـاً فما يدريك أيهما الـوريُّ
سلي بي تخبري أني طروب إلى الإيسـار أبلجُ بختريُّ
وإني حين تختلف العـوالي إلى الإبطال أكيس قسوريُّ
كِليني للندَى والبأسِ إني بكل بسـالة وندىً حَرِيُّ

الآخر تمثل بصورة أم عمر زوجة الشاعر , ونوع الحوار هو المضمر (الضمني) وهو ما يتمظهر على هيئة جواب , عن قول أو فعل معين[41], فالذات هنا في موقف الرد على الآخر بعد فعل أشارت له بطريقة عابرة غير مفصلة (ازدرتنا) وفعل الاستخفاف كانت البؤرة التي انطلق منها الحوار , فالذات عندما استشعرت بانتقاص الآخر لها هذا السلوك دفعها إلى الدفاع عن موقفها , لذا جاء الجواب باستعمال أسلوب الشرط فكأن الذات هنا في موضع احتجاج فأداة الشرط ((فهي تنقل السامع من الاحتجاج بما يألفه من محسوسات و مشاهد يومية متجلية إلى مشاهد غيبة))[42]، بأنَّها تستخف فعل الذات ؛ لأنَّها لا تدرك أهوال الحرب , ثم انتقلت إلى أسلوب الأمر في الفعل (سلي) فكأن الآخر قد تبنى حكماً وهو التشكيك في الذات , وهو ما سبب صراعاً في داخل الشخصية جراء التشكيك بمقدرتها من قبل الآخر لذا تندفع في استعراض صفاتها البطولية والحماسية , فالبطولة وأدواتها مكون وجودي بالنسبة للذات فهي تقوم بعملية تعويض عما تفقده بسبب تجاهل الآخر[43], كما أنَّ نظمه للقصيدة على البحر الوافر عزز من ذلك فهو يلائم الإداء العاطفي في الغضب والحماسة .

الخاتمة

1_ إنَّ الشعراء سلكوا صيغ مختلفة في مواجهة الواقع لتقديم فلسفتهم الخاصة النابعة من التجارب الحياتية المريرة .

2_ إنَّ مقدمة الفروسية قد خضعت لتحولات على امتداد التجربة الجاهلية وتطورها تحت تأثير التحولات الكبرى بظهور الدين الإسلامي والتبدل العام على النواحي الفكرية والاجتماعية , إذ كانت وسيلة لإثبات الذات وتقديم فلسفة الشاعر ورؤيته الخاصة عند شعراء العصر الجاهلي .

3_ إنَّ المخاطرة كانت وسيلة لنيل رضا الله تعالى في ظل العهد الإسلامي .

4_ في العصر العباسي أصبحت وسيلة للاستجداء وكسب المال أو تعبير عن نمط حياتي خاص للشعراء .

الهوامش

(1) معجم العين , الفراهيدي , تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , 2003 , 1\60
(2) لسان العرب : ابن منظور , المجلد الرابع , دار صادر بيروت : 11 – 12.
(3) الصحاح : الجوهري (ت 398 هـ) : 2/ 395 . سورة البقرة : الآية 184.
(4) المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية , مكتبة الشروق الدولية ط 4 , 2004 , مادة آخر .
(5) ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 ، ط1 : 373 .
(6) ديوان امرؤ القيس : شرح عبد الرحمن المصطاوي , دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية, 2004 : 97.
(7) المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية , عبد المنعم الجفني , مكتبة مدبولي , القاهرة – مصر , ط3 , 2000 : 29 .
(8) المصطلحات الأدبية الحديثة : دراسة ومعجم إنجليزي – عربي , د محمد عناني , الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان , دار نوبار للطباعة , ط 3 , 2003 : 68 .
(9) الزمان الوجودي : 176 .
(10) دراسات في الشعر الجاهلي برؤيا جديدة : 11 و12 .
(11) العاذلة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني : هدى رغيان البلوي : رسالة ماجستير , جامعة الرياض للبنات , 2008 : 78 .
(12) العاذلة في الشعر الجاهلي ، إبراهيم موسى السنجلاوي , المجلة العربية للعلوم الإنسانية : 40.
(13) ينظر : ديوان عنترة بن شداد :, تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي , المكتب الإسلامي , القاهرة ، د ط ، 1964: 76.
(14) ينظر : دراسات في الشعر الجاهلي برؤيا جديدة: 10 .
(15) الصورة الفنية في شعر زهير بن ابي سلمى: 138 .
(16)ديوان سلامة بن جندل : تحقيق فخر الدين قباوة , دار الكتب العلمية بيروت , ط1 , 1968: 51 .
شاعر جاهلي من فرسان تميم وهو من اهل الحجاز تميز شعره بالحكمة وهو من وصاف الخيل
الروع : الحرب .
لا أباليا : يتيمة .
حدثان : مصائب الدهر .
هجمة : الجماعة من الأبل ما بين الثلاثين والأربعين . التراقي هي الترقوة أعلى الصدر . أي تألم اراقيمها من شدة التعب حين يستسقيان الابل .
(17) الاستلزام التخاطبي ودلالته في حوار العاذلة : 330 .
(18) جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجاً , يوسف عليمات : 94 .
(19) الاستلزام التخاطبي ودلالته في حوار العاذلة : 331 .
(20) ينظر الفروسية في العصر الجاهلي : نوري حمودي القيسي : 80 .
(21) ديوان عنترة بن شداد : 257- 258 .
(22) الاستلزام التخاطبي : 321 .
(23) ينظر : أسلوب الأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية مقاربة تداولية , ليلى كادة , مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية , العدد 13, مارس ابريل 2017: 407 .
(24) دراسات في الشعر الجاهلي برؤيا جديدة : 12 .
(25) ديوان المثقب العبدي : 194 .
الوضين : هو الحزام المنسوج بعضه على بعض يشد به الرَّحل على البعير
(26) أصول علم النفس : احمد عزت راجح , دار الكتاب العربي القاهرة , ط 7 , 1968 : 478 .
(27) المختصر في أصوات اللغة العربي : دراسة نظرية وتطبيقية , محمد حسن جبل : 74 .
(28) كعب بن سعد الغنوي : الأصمعيات : 74 .
(29) العتاب واللوم : 10 .
(30) البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي : مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية العدد الرابع المجلد الأول , 2009: 370 .
(31) المعمرون والوصايا : 41 .

الشبارق : لفظ فارسي معرب معناه الطعام
([32]) م ن : 42 .
([33]) ديوان مالك بن الريب : تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي , مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية مج 15 , ج 1 : 69_ 70.
([34]) ينظر قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : الدكتور محمد زكي العشماوي , دار النهضة العربية بيروت , د ت , 1979 : 35 .
([35]) الحوار في الشعر العربي : 7 .
([36]) ديوان لبيد : 188 .
([37]) في النحو العربي نقد وتوجيه : مهدي المخزومي دار الرائد العربي , بيروت ط2, 1986 :246.
([38]) ينظر : الذات عينها كأخر بول ريكور , ترجمة د. جورج زيناتي , المنظمة العربية للترجمة , بيروت , ط 1 2005: 113.
ابو يكسوم هو ابرهة الحبشي
([39]) ينظر : دراسات في الشعر الجاهلي برؤيا جديدة : 10.
([40]) ديوان عبد الصمد بن المعذّل : حققه وقدم له زهير غازي زاهد , مطبعة النعمان النجف الأشرف , د ت , 1970 : 201 _ 202 .
([41]) دينامية النص تنظير وإنجاز : محمد مفتاح , المركز العربي بيروت , ط 2 , 1990 : 100.
([42]) ينظر : سورة التكوير دراسة لغوية أسلوبية , د. هدى هشام إسماعيل , مقال منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم : 20 .
([43]) جدلية الأنا والآخر في شعر أبي الطيب المتنبي مغامرة في القراءة والتأويل : حسين الجداونه , طبعة الإلكترونية الأولى , الأردن : 100 .

قائمة المصادر والمراجع :

1. الاستلزام التخاطبي ودلالته في حوار العاذلة :
2. أسلوب الأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية مقاربة تداولية , ليلى كادة , مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية , العدد 13, مارس ابريل 2017.
3. أصول علم النفس : احمد عزت راجح , دار الكتاب العربي القاهرة , ط 7 , 1968 .
4. البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي : مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية العدد الرابع المجلد الأول , 2009.
5. جدلية الأنا والآخر في شعر أبي الطيب المتنبي مغامرة في القراءة والتأويل : حسين الجداونه , طبعة الإلكترونية الأولى , الأردن .
6. جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجاً , يوسف عليمات .
7. الحوار في الشعر العربي .
8. دراسات في الشعر الجاهلي برؤيا جديدة : 10 .
9. دينامية النص تنظير وإنجاز : محمد مفتاح , المركز العربي بيروت , ط 2 , 1990 .
10. ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 ، ط1 .
11. ديوان المثقب العبدي .
12. ديوان امرؤ القيس : شرح عبد الرحمن المصطاوي , دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية, 2004 .
13. ديوان سلامة بن جندل : تحقيق فخر الدين قباوة , دار الكتب العلمية بيروت , ط1 , 1968.
14. ديوان عبد الصمد بن المعذّل : حققه وقدم له زهير غازي زاهد , مطبعة النعمان النجف الأشرف , د ت , 1970 .
15. ديوان عنترة بن شداد :, تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي , المكتب الإسلامي , القاهرة ، د ط ، 1964.
16. ديوان لبيد .
17. ديوان مالك بن الريب : تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي , مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية مج 15 .
18. الذات عينها كأخر بول ريكور , ترجمة د. جورج زيناتي , المنظمة العربية للترجمة , بيروت , ط 1، 2005.
19. الزمان الوجودي .
20. سورة التكوير دراسة لغوية أسلوبية , د. هدى هشام إسماعيل , مقال منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم .

21. الصحاح : الجوهري (ت 398 هـ)
22. الصورة الفنية في شعر زهير بن ابي سلمى.
23. العاذلة في الشعر الجاهلي ، إبراهيم موسى السنجلاوي , المجلة العربية للعلوم الإنسانية .
24. العاذلة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني : هدى رغيان البلوي : رسالة ماجستير , جامعة الرياض للبنات , 2008 .
25. العتاب واللوم .
26. الفروسية في العصر الجاهلي : نوري حمودي القيسي .
27. في النحو العربي نقد وتوجيه : مهدي المخزومي دار الرائد العربي , بيروت ط2, 1986 .
28. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : الدكتور محمد زكي العشماوي , دار النهضة العربية بيروت , د ت , 1979 .
29. كعب بن سعد الغنوي : الأصمعيات .
30. لسان العرب : ابن منظور , المجلد الرابع , دار صادر بيروت .
31. المختصر في أصوات اللغة العربي : دراسة نظرية وتطبيقية , محمد حسن جبل .
32. المصطلحات الأدبية الحديثة : دراسة ومعجم إنجليزي – عربي , د محمد عناني , الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان , دار نوبار للطباعة , ط 3 , 2003 .
33. المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية , عبد المنعم الجفني , مكتبة مدبولي , القاهرة – مصر , ط3 , 2000 .
34. معجم العين , الفراهيدي , تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , 2003 .
35. المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية , مكتبة الشروق الدولية ط 4 , 2004 .
36. المعمرون والوصايا .